مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

تحرك دول مجلس التعاون لوقف الحرب أصبح ضرورة

أ.د صالح بن محمد الخثلان

مستشار أول مركز الخليج للأبحاث

بعد نحو شهر من اندلاع الحرب، باتت معالمها أكثر وضوحاً. إذ إن غالبية التقديرات المتداولة في الأوساط العسكرية والاستراتيجية، بما في ذلك تقديرات المتخصصين في العقائد العسكرية الإيرانية والإسرائيلية، فضلًا عن الفحص الدقيق للبيانات المتاحة بشأن وتيرة الهجمات وفعالية الدفاعات، تتجه إلى ترجيح أن الحرب مرشحة للاستمرار والتحول إلى حرب استنزاف. كما تفيد هذه التقديرات بأن مسار الحرب حتى الآن يميل نسبياً لصالح إيران من حيث قدرتها على تحمل كلفة المواجهة وإطالة أمدها وفرض

غالبية التقديرات المتداولة في الأوساط العسكرية والاستراتيجية، بما في ذلك تقديرات المتخصصين في العقائد القتالية الإيرانية والإسرائيلية، فضلًا عن الفحص الدقيق للبيانات المتاحة بشأن وتيرة الهجمات وفعالية الدفاعات، تتجه إلى ترجيح أن الحرب مرشحة للاستمرار والتحول إلى حرب استنزاف.

كلفة متزايدة على خصومها. ومع ذلك، فإن الحكم على المسار النهائي للحرب يظل مفتوحاً على أكثر من احتمال، لا سيما في ظل تقلب مواقف دونالد ترامب.

ولكن وفي ضوء المعطيات الراهنة يصبح الخيار الأكثر اتساقاً مع مصالح دول مجلس التعاون هو التحرك الجاد لوقف الحرب.

فحسب طبيعة العمليات العسكرية اليومية لا توجد أي مؤشرات على حسم قريب؛ حيث يستمر تبادل الهجمات من دون تغيير حاسم في ميزان المواجهة ما يعني أن الحرب دخلت عملياً في مسار استنزافي، وكلما طال أمدها، ازدادت صعوبة إنهائها، وارتفعت كلفتها على جميع الأطراف، بما في ذلك دول مجلس التعاون ومع ذلك، فإن هذا التقدير يظل محكوماً بما هو **متاح من معلومات للمراقبين؛ إذ قد تكون لدى بعض صناع القرار معطيات غير معلنة تتعلق بمآلات الداخل الإيراني. وعلى افتراض عدم وجود مؤشرات حاسمة على تفكك داخلي أو انشقاقات جوهرية في بنية النظام الإيراني، فإن الحرب ، وفق المعطيات الظاهرة ، مرشحة للاستمرار، بما يعزز الدعوة للتحرك لوقفها.**

وُيبني هذا التقدير على احتفاظ إيران بأدوات ضغط فعالة، في مقدمتها إغلاق مضيق هرمز، والقدرة على تجاوز أنظمة الاعتراض الإسرائيلية وإلحاق أضرار كبيرة، فضلاً عن الاستخدام المكثف للمسيّرات منخفضة الكلفة التي تستنزف الدفاعات وتفرض كلفة مرتفعة. هذه العوامل بالطبع لا تعني تفوقاً حاسماً لإيران، لكنها تمنحها قدرة أكبر على الاستمرار وإطالة أمد الحرب، في وقت يواجه فيه خصومها قيوداً داخلية وسياسية تحد من خياراتهم، بينما يتحرك الحرس الثوري ضمن هامش أوسع وأقل تقييداً.

في المقابل، تدير إدارة الرئيس ترامب الحرب من دون رؤية استراتيجية مستقرة، وهذا ما تكشفه التقلبات اليومية في تصريحاته بين التهديد بالتصعيد والدعوة إلى إنهاء الحرب، بما يعكس غياب تصور واضح لكيفية إنهاء ما بدأه، رغم الكلفة العالية. كما يتزايد داخل الولايات المتحدة الموقف المعارض للحرب بسبب آثارها الاقتصادية، وأخبار مقتل جنود أمريكيين، في ضوء سجل أمريكي حافل بالإخفاقات في الحروب البرية، من فيتنام إلى أفغانستان والعراق. كما يواجه ترامب أيضاً صعوبات في إقناع الحلفاء بالمساهمة في فتح المضيق وتأمين الملاحة في الخليج.

أما إسرائيل والتي كانت السبب المباشر في اندلاع هذه الحرب، فما زالت تدفع باتجاه استمرارها دون اعتبار واضح لتداعياتها الإقليمية. ويشمل ذلك احتمالات توسع الحرب على نحو يؤدي إلى استهداف منشآت الطاقة والمياه في دول مجلس التعاون. كما أن الأضرار التي لحقت بها

نتيجة تراجع فاعلية بعض قدراتها الاعتراضية أمام الصواريخ الإيرانية تفتح المجال أمام احتمالات تصعيد أخطر، وهو ما أشار إليه بعض الخبراء عند الحديث عن احتمالات تصعيد شديدة الخطورة، من بينها خيار نووي تكتيكي، رغم بقاء المقصود بهذا الخيار وحدوده العملية محل غموض.

كما كشفت الحرب، وخصوصاً إغلاق مضيق هرمز وما ترتب عليه من تهديد للاقتصاد العالمي، حدود الاعتماد على القوى الكبرى الأخرى. فالموقفان الأوروبي والصيني اتسما بالتردد والاكتفاء ببيانات عامة، من دون استعداد لتحمل مسؤولية فعلية تتناسب مع حجم الخطر. أما روسيا، التي بدت مستفيدة، ولو مؤقتاً، من الحرب، والتي تشير أخبار متواترة إلى أنها تستخدمها للاقتصاص من الدعم الأمريكي لأوكرانيا عبر تزويد إيران بمعلومات استخباراتية رفعت من دقة استهدافاتها، فلا يمكن توقع أي دور إيجابي منها في إنهاء هذه الحرب. وهذه المواقف، التي تجمع بين التردد والضعف والانتهازية، تؤكد أن هذه القوى الثلاث لا يمكن الاعتماد عليها في حماية السلم والأمن الدوليين، كما تكشف مبكراً أن النظام متعدد الأقطاب، إذا كان هذا أحد تجلياته، لا يحمل ما يدعو إلى التفاؤل في إدارة الأزمات الدولية الكبرى التي قد تقع مستقبلاً.

رغم عدم انخراط دول مجلس التعاون المباشر في الحرب، فإنها تتحمل منذ اندلاعها خسائر متزايدة تشمل استنزاف أنظمة الدفاع الجوي وضرورة إعادة تعويض المخزون المستهلك من الذخائر والصواريخ الاعتراضية، وتعطل صادرات النفط والغاز، والتأثير على حركة التجارة والنقل والسفر، إضافة إلى الإضرار بصورة الخليج كبيئة مستقرة وجاذبة للاستثمار. كما أن هذه الخسائر ستفرض ضغوطاً متزايدة على موازنات دول المجلس في العام المقبل، وربما في العام الذي يليه، في ظل تراجع الدخل وارتفاع الإنفاق اللازم لتعويض الخسائر وتعزيز الجاهزية الدفاعية، وهو ما قد ينعكس سلباً على القدرة على مواصلة المشاريع التنموية الطموحة بالزخم نفسه. ويُضاف إلى ذلك ما يتعرض له لبنان من خسائر بشرية تقارب ٤٥٠٠ بين شهيد وجريح، فضلاً عن خسائر مادية كبيرة، وهي كلفة لا ينبغي إغفالها في الحساب الخليجي، بحكم الحرص الدائم على أمن لبنان واستقراره.

تواجه دول مجلس التعاون إشكالية رئيسية قد تفسر جانباً من التردد في تبني خيار العمل على وقف الحرب، وتتمثل هذه الإشكالية في القلق من مرحلة ما بعد الحرب، في حال استمرار النظام الإيراني، وما قد يصاحب ذلك من سلوك عدائي تجاه دول المنطقة، وينطلق من هذا القلق طرح يرى أن كلفة استمرار الحرب، رغم ارتفاعها، قد

المقارنة بين كلفة استمرار الحرب وكلفة التعامل مع إيران بعد الحرب تحتاج إلى إعادة نظر، فالتعامل مع إيران في مرحلة ما بعد الحرب يظل مسألة يمكن معالجتها لاحقاً من خلال سياسات مناسبة، في حين أن كلفة الحرب قائمة وتتزايد، وتحمل مخاطر مباشرة.

تكون أقل من كلفة وقفها وترك إيران تخرج منها مع بقاء نظامها. وقد يكون هذا التصور أحد العوامل التي تعيق تبني خيار الدفع نحو إنهاء الحرب.

غير أن هذه الإشكالية تقوم على مقارنة غير متوازنة بين نوعين من المخاطر، فهناك خطر قائم ومباشر يتمثل في استمرار الحرب واحتمال توسعها، بما قد يشمله ذلك من استهداف منشآت حيوية أو انخراط مباشر لدول الخليج في الحرب. وفي المقابل، هناك خطر محتمل يتعلق بما قد يترتب على بقاء النظام الإيراني بعد الحرب. والمشكلة في هذه المقارنة أنها تساوي بين خطر قائم تتزايد كلفته فعلياً، وخطر محتمل يمكن التعامل معه لاحقاً عبر سياسات احتواء وردع وتقييد.

هذه المقارنة بين كلفة استمرار الحرب وكلفة التعامل مع إيران بعد الحرب تحتاج إلى إعادة نظر، فالتعامل مع إيران في مرحلة ما بعد الحرب يظل مسألة يمكن معالجتها لاحقاً من خلال سياسات مناسبة، في حين أن كلفة الحرب

قائمة وتتزايد، وتحمل مخاطر مباشرة لا يمكن تأجيلها أو احتواؤها بسهولة.

في ضوء جميع المعطيات أعلاه يصبح العمل على وقف الحرب الخيار الأكثر اتساقاً مع مصالح دول مجلس التعاون، بما يحد من الخسائر القائمة ويمنع خطر التورط المباشر فيها؛ فاستمرار الحرب لا يوفر مكسباً استراتيجياً واضحاً، في حين أن كلفتها الأمنية والاقتصادية مرشحة للارتفاع. وما لم يكن لدى دول مجلس التعاون معلومات لا يملكها المراقبون تشير إلى **أن النظام الإيراني يتجه إلى التفكك أو إلى انشقاقات داخلية نتيجة ما لحق بإيران من تدمير، بما يبرر القبول باستمرار الحرب إلى أن يتحقق هذا الهدف،**

> **ما لم يكن لدى دول مجلس التعاون معلومات لا يملكها المراقبون تشير إلى أن النظام الإيراني يتجه إلى التفكك أو إلى انشقاقات داخلية نتيجة ما لحق بإيران من تدمير، فإن الرهان على إطالة أمد الحرب لا يستند إلى أساس كافٍ.**

فإن الرهان على إطالة أمد الحرب لا يستند إلى أساس كافٍ. وفي هذه الحالة، يصبح وقف الحرب هو الخيار الأنسب والوحيد أمام دول المجلس.

وعلى هذا الأساس، نرى أن دول مجلس التعاون، وفي حال وصلت لهذه القناعة، تستطيع الإسهام في إنجاح الوساطة الباكستانية، والعمل على تقريب الموقفين الأمريكي والإيراني. ويمكن أن تضطلع عُمان بدور مؤثر في تقريب الموقف الإيراني، في حين تستطيع بقية دول المجلس ممارسة تأثير أكبر على موقف إدارة ترامب. ويهدف هذا التحرك إلى تجاوز الشروط التعجيزية التي قد تفضي إلى إفشال الوساطة، والدفع نحو تسوية يقبلها الطرفان.

بعد شهر من الحرب، لم يعد من السهل التسليم بتقدير مفاده أن استمرارها قد يكون الخيار الأنسب لدول مجلس التعاون إذا انطلق هذا التقدير من هاجس التعامل مع إيران في حال بقاء النظام الحالي. فالمعطيات الراهنة تجعل الخطر القائم والمباشر أكثر إلحاحاً من الرهان على مآل غير منظور واحتمال غير مضمون.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net